في البلاد
صحتنا

sehatonaalbilad
albiladpress.com
للتواصل: 36531616
zainab.swar@albiladpress.com
dalila.arnaout@albiladpress.com

البلاد | إعداد: حسن فضل

رهام يوسف.. صوت نادر وإرادة تنبض بالحياة رغم التحديات

تجربة ملهمة مع متلازمة تنشيط الخلايا الصارية

رهام يوسف

رهام يوسف... ذات الصوت النادر؛ صوت يضج بالحياة، تنطلق به خارج حدود الزمان والمكان، وتنجز ما لا يمكن. في نبراته تختزل معاني الحياة، وبصداه تنتزع وجودها وحضورها، وترسم ملامحها وحدودها. حتى في سكونه، تبدو وكأنها تُخضع المستحيل لإرادتها، وتوزّع صكوك الطمأنينة وسط زحمة الضجيج المنفلت.

صوت نادر ومرض نادر... بهذه الثنائية تعيد رهام يوسف تعريف ذاتها وتشكيل هويتها. فمنذ أن سكنها مرض غامض بلا ملامح، تخوض المجهول، لكنها تدرك ما لا يدركه الكثيرون. ومع تشخيصها بمتلازمة تنشيط الخلايا الصارية – الاسم الذي يحمل الغموض – تمكنت من فك شفراته والتعايش معه، متحدية الوصمة المجتمعية وكاسرة النمطية السائدة. فالمرض منحها القوة للاستمرار، ولم يكن يوما مشروع هزيمة.

وليس اكتفاء بحدود مرضها الشخصي، تتوسع رهام يوسف في مجال الأمراض النادرة، حيث تشارك بنشاط في حملة الأمراض النادرة في البحرين. كما أنها ناشطة اجتماعية في مجال الإعاقة وخدمة المجتمع، تعمل مع الأطفال ذوي الهمم، وتدعم الأطفال المصابين بالسرطان، وتشارك في مبادرات مجتمعية تهدف إلى تمكين ذوي الهمم ومنحهم الفرص للإبداع والتميز.

وتحلم بأن يُنشأ حساب رسمي يختص بحصر أعداد وأنواع الأمراض النادرة، وأن تتوفر عيادات متخصصة تضم أفضل المختصين في هذا المجال. كما دعت إلى إنشاء صندوق دعم لمساعدة المرضى والعائلات في تغطية تكاليف التشخيص والفحوصات، وتسهيل الحصول على العلاج المناسب. "صحتنا" التقت رهام يوسف لتكتشف سحر صوتها النادر وفلسفته في مواجهة المرض النادر.

نقطة التحول

وأوضحت أن بداية رحلتها مع المرض كانت منذ الصغر، حيث ظهرت على شكل نوع من الحساسية، ثم تطورت تدريجيا لتشمل أنواعا أكثر وتعقيدا. وأضافت أن مرحلة التخبط بدأت مع ازدياد نوبات التحسس من كل شيء ومن لا شيء، دون وجود رابط واضح للمحفزات. وأشارت إلى أن بداية العشرينات شكّلت نقطة التحول في مسار المرض، حيث ازدادت الأعراض وضوحا وتعقيدا.

وبيّنت أن تشخيص حالتها استغرق وقتا طويلا؛ نظرا لأن الأعراض لم تكن مترابطة أو واضحة. وبعد سلسلة من المحاولات والفحوصات، تم تشخيصها بالمرض خلال الفترة ما بين العامين 2013 و2015، أي بعد سنوات طويلة من المعاناة قبل الوصول إلى التشخيص الدقيق.

مزيد من التفكير

وأشارت إلى أن المرض أثّر بشكل كبير على حياتها اليومية، بدءا من العمل، حيث اضطرت إلى تغيير مسارها الوظيفي بما يتناسب مع حالتها الصحية وطبيعة الأعراض التي تعاني منها؛ نظرا لتعددها وتشعّبها وصعوبة التنبؤ بوقت حدوثها أو شدتها.

أما على الصعيد الاجتماعي، فأكدت أن لديها حياة طبيعية وأصدقاء داعمين، مشيرة إلى أنها اختارت عدم إخفاء مرضها، بل تتحدث عنه بصراحة عند التعارف، وتوضح تفاصيله، خصوصا عند الخروج مع صديقاتها أو المشاركة في الأنشطة المختلفة. وأضافت أنها تحرص على مراعاة أمور عدة، مثل اختيار الأماكن المناسبة من حيث الإضاءة والتهوية، إضافة إلى التدقيق في قوائم الطعام في المطاعم بسبب حساسيتها المتعددة، ما يجعل كل "طلعة" تتطلب تخطيطا مسبقا وتفكيرا إضافيا.

أصعب مرحلة

ولفتت إلى أن أصعب مرحلة في رحلتها مع المرض كانت مرحلة البحث عن الأجوبة، ذلك الشعور بأنها تعاني من مرض دون تشخيص واضح أو تفسير لما تمر به. وأشارت إلى أن من أسعد اللحظات كانت حين حصلت على مسمى لحالتها، بعد تشخيصها بمتلازمة تنشيط الخلايا الصارية.

وأضافت أنها، رغم ارتياحها لمعرفة التشخيص، تساءلت عن العلاج، إلا أن الإجابة كانت صادمة؛ إذ لا يوجد علاج نهائي بنسبة 100 %، وإنما تقتصر العلاجات المتاحة على التخفيف من الأعراض، إن وُجدت.

تتحسس من لا شيء

وعن مفهوم متلازمة تنشيط الخلايا الصارية، قالت: "ببساطة، أنا أتحسس من كل شيء ومن لا شيء في الوقت ذاته؛ فليس من الضروري أن يكون هناك عامل خارجي واضح لحدوث التحسس، بل أحيانا يقرر جسمي أن يتحسس من تلقاء نفسه... كأن هناك أنا، وهناك جسمي".

الأعراض

وألمحت إلى أن هذا المرض متشعّب في أعراضه، وتختلف مظاهره من شخص إلى آخر؛ فقد تتمثل أحيانا في التعب الشديد، أو الحساسية تجاه بعض الأطعمة أو الروائح، الطفح الجلدي، التهيج في الجلد واحمراره، وصعوبة في التنفس، إلى جانب الصداع. كما قد تشمل أعراضا أخرى مثل انخفاض ضغط الدم ومشكلات في القلب، تسارع نبضات القلب، آلام في البطن، ما يعكس طبيعة المرض المعقدة وتعدد أشكاله.

المحفزات

أما فيما يتعلق بالمحفزات، فأشارت إلى أن فترة الصيف تُعد الأكثر صعوبة بالنسبة لها، إذ تمتد من شهر مارس حتى نهاية سبتمبر، إذ تكون حالتها غير مستقرة، خصوصا في شهري يوليو وأغسطس. وأوضحت أن ارتفاع درجات الحرارة، والتعرض لأشعة الشمس، واختلاف درجات التكييف بين الأماكن، إلى جانب الأتربة والغبار وحبوب اللقاح، جميعها عوامل تؤدي إلى زيادة الأعراض وتكرار النوبات.

استراتيجيتها مع النوبات الحادة

وعن استراتيجيتها في التعامل مع النوبات الحادة، أوضحت أنها تضطر إلى التوجه للمستشفى عند اشتداد الأعراض، أما في حال كانت في بدايتها، فتحاول تداركها ومنع تطورها، من خلال الابتعاد عن المؤثرات البيئية والمحفزات المحتملة، والسعي للتحكم بالعوامل التي يمكن السيطرة عليها.

وأضافت أنها تعتمد على أدوية مضادة للهيستامين بشكل منتظم، تتناولها صباحا ومساء، إلى جانب تجنب أي عوامل قد تثير الأعراض. كما شددت على أهمية التدوين، لمراقبة المحفزات والتحكم بها، حيث تقوم بتسجيل ردود فعلها تجاه كل دواء جديد، أو طعام، أو حتى مواقف يومية بسيطة قد تسبب لها حساسية، مثل المصافحة.

مرض بلا ملامح

ولفتت إلى أن طبيعة المرض المعقدة، وتداخل أعراضه، تُصعّب عملية تشخيصه، إذ لا توجد له ملامح واضحة أو أعراض موحّدة. وأوضحت أنه قد تظهر عليها نوبات تُشبه الحساسية، وعند إجراء تحاليل الدم لا يظهر أي خلل، رغم شعورها بآلام متعددة، مثل الصداع وآلام المعدة، وإحساسها بالإرهاق الشديد، لتكون نتيجة الفحوصات في كثير من الأحيان "لا شيء"، وهو ما شكّل تحديا كبيرا في إقناع الأطباء بوجود مشكلة حقيقية.

وأضافت أنها كثيرا ما كانت تؤكد للأطباء أن هناك خللا ما، رغم عدم ظهور نتائج واضحة، مشيرة إلى صعوبة تقبّل بعضهم لحالتها. كما بيّنت أنها لا تستطيع تناول العديد من الأدوية المعتادة، إذ تقتصر بعض العلاجات التي تُقدّم لها على مسكنات بسيطة، حتى في حالات تستدعي تدخلا أكبر، ما يزيد من معاناتها.

وأشارت إلى أن الأطباء ينقسمون في تعاملهم مع حالتها إلى فئتين: فئة تسعى لفهمها والتعمق في تفاصيلها باعتبارها حالة مميزة، وأخرى لا تدرك طبيعتها بشكل كافٍ. وذكرت أنها تضطر أحيانا إلى حمل ورقة التشخيص معها بشكل دائم، والتي تآكلت من كثرة الاستخدام، لتُثبت من خلالها حالتها وتقنع الأطباء بطبيعة مرضها.

مفاهيم خاطئة

وعن أكثر المفاهيم الخاطئة التي تواجهها من المجتمع، أوضحت أن البعض يعتقد أن هذا المرض يعني نهاية الحياة، إلى جانب وجود عوائق اجتماعية، مثل الظن بأنه مرض معدٍ، أو صعوبة الاندماج بسبب عدم وجود علاج واضح. كما تتلقى نصائح عشوائية للعلاج، كاقتراح الذهاب إلى البحر وغيرها، دون إدراك حقيقي لطبيعة المرض.

وأكدت أن المرض مناعي ذاتي، وما يزال يُعد من الأمراض الحديثة نسبيا، مع محدودية الأبحاث حوله حتى الآن، حيث لا تُعرف أسبابه بشكل دقيق، ولا تفسير واضح لحدوثه، وهو ما يزيد من حجم التحديات التي يواجهها المصابون به.

صوت نادر ومرض نادر

وأشارت إلى أنه عندما وصلت إلى مرحلة لاحظت فيها أن البعض لا يصدق إصابة المرضى بمثل هذه الأمراض، أدركت ضرورة نشر الوعي. ومن هنا بدأت رحلتها، بعد أن اطلعت على صفحة تُعنى بالأمراض النادرة، فتوجهت إلى الدكتورة كريستينا وقالت لها: "أنا مستعدة للتحدث، لست خائفة. لماذا أخاف من أن أتكلم وأقول للناس: انظروا إليّ، لدي مرض؟ بالعكس، هذا سيساعدنا".

وأضافت أن مشاركة قصتها تسهم في رفع مستوى الوعي، وتعزز فهم المجتمع لطبيعة هذه الأمراض، وتحسّن أساليب التعامل مع المصابين بها، إلى جانب طمأنة الأسر بأنهم ليسوا وحدهم في هذه الرحلة.

وتختتم بقولها: "أنا لدي صوت نادر، وهذا ما يميزني مرض نادر وصوت نادر".

ضد النمطية السائدة والوصمة المجتمعية

وقالت إنه من خلال نشاطها في حملة الأمراض النادرة، تسعى إلى نشر الوعي والتأكيد على وجودهم، وكسر النمطية السائدة والوصمة المجتمعية، مضيفة: "نحن موجودون، اسمعونا وشاهدونا. نحن هنا لنتكاتف ونعمل على تحسين نمط الرعاية وجودة الحياة للأفراد".

وأضافت أنها ناشطة اجتماعية في مجال الإعاقة وخدمة المجتمع، حيث تعمل مع الأطفال ذوي الهمم، وتدعم الأطفال المصابين بالسرطان، كما تشارك في مبادرات مجتمعية تُعنى بتمكين ذوي الهمم. وأكدت أنها لا تحصر نفسها في مجال واحد؛ إيمانا منها بقدرتهم على الإنجاز متى ما أُتيحت لهم الفرص، وتوفرت البيئة الداعمة التي تساعدهم على الانطلاق والإبداع.

نضعف ولا ننهزم

ولفتت إلى أن كثيرين يعتقدون أنها تعيش في أجواء إيجابية على مدار 24 ساعة، إلا أن الواقع مختلف؛ فمع ظهور الأعراض تمر، كأي إنسان، بلحظات من الصعود والهبوط، تتساءل خلالها: لماذا أمرّ بهذا؟ ولماذا أنا؟ وتتمنى أن تعيش حياة طبيعية. لكنها تصف هذه الفترات بـ "مرحلة المشاعر والطاقة السلبية" التي سرعان ما تتجاوزها.

وتضيف: "لديّ نظام دعم يساعدني على تجاوز هذه اللحظات، فأحرص على الانشغال بأمور تُبعدني عن التفكير، مثل الرسم، وتقديم الحلقات الصوتية، والعمل التطوعي. وقد أدركت أن التطوع من أكثر الأشياء التي جعلتني لا أرى نفسي مصابة بمرض نادر، بل منحني تميزا. صحيح أن بعض الأفكار السلبية قد تراود الإنسان أحيانا، لكن الإيمان يمنحني القوة، وأؤمن بأن إذا ما ابتلى الله عبدا فأكرمه".

الداعمون

وتضيف أنها مدينة لكل من ساندها في هذه الرحلة، بدءا من أسرتها، ثم الأطباء والطاقم الطبي، ومنهم د. فاضل صبّاغ ود. كريستينا، إلى جانب الأطباء في المستشفيات الحكومية الذين يتابعون حالتها، ومنهم د. ثريا (قسم الأمراض التنفسية)، د. زينب المصلي (قسم الجلدية). كما عبّرت عن امتنانها لكل من احتضنها في أنشطة الجامعة، وعلى رأسهم البروفيسور د. عبدالله الحواج في الجامعة الأهلية، الذي دعمها كثيرا في مجال التقديم والعرافة، وكذلك كلية البحرين الجامعية على دعمها في الأنشطة الطلابية وصقل المهارات. ولم تنسَ شركاء الإبداع في مجال التعليق الصوتي، وعلى رأسهم المخرج أحمد العبيدلي، وأستاذها عماد عبدالله، وكل من آمن بصوتها وأعطاه مساحة.

الحياة كفاح جميل

وقالت: "الذي يمنحني القوة للاستمرار هو مرضي؛ فهذا الشيء علّمني أن أعيش اللحظة، وأن أستمر، لأنني قد أكون الآن على ما يرام، وما بعدها قد لا أكون كذلك. لذلك أعيش اللحظة وأمنحها كل ما أستطيع. أنا مؤمنة ومقتنعة بهذا النهج، وهو أن نُخصّص أجمل أيام حياتنا لخدمة المجتمع، وأن الحياة ما هي إلا كفاح جميل، وأنا نادرة، وهذا ما يميزني".

أمنيات

واختتمت حديثها بجملة من الأمنيات التي تأمل تحقيقها في ملف الأمراض النادرة، إذ تمنت أن يكون هناك قاعدة بيانات رسمية تعنى بحصر أعداد وأنواع الأمراض النادرة، وأن تتوفر عيادات تضم مختصين في هذا المجال. كما دعت إلى إنشاء صندوق دعم؛ نظرا لأن تكاليف التشخيص وإجراء بعض الفحوصات تُشكّل عائقا أمام بعض العائلات، خصوصا الأطفال، لا سيما أن الأمراض النادرة تتطلب نفقات باهظة، سواء على مستوى العلاج أو الفحوصات. كما عبّرت عن حلمها بإنشاء مستشفى متخصص للأطفال، يقدّم خدمات متكاملة، ويضم عيادة مخصصة للأمراض النادرة.

إدارة الغذاء والدواء الأميركية "FDA" توافق على حبوب "فاوندايو" للمساعدة في إنقاص الوزن

منذ طرح إبر التنحيف من فئة محفّزات مستقبلات البتيد الشبيه بالجلوكاجون - 1 (GLP-1)، وهي تلقى رواجًا في السنوات الأخيرة، حيث أحدثت نقلة نوعية في علاج السمنة وداء السكري من النوع الثاني، خصوصًا لدى من فشلت محاولاتهم مع الحمية الغذائية والرياضة. وما تزال السمنة تُشكّل مصدر قلق صحي، إذ تزيد من خطر الإصابة بأمراض مثل داء السكري من النوع الثاني، وأمراض القلب والأوعية الدموية، وبعض أنواع السرطان.

وقد أثبتت العلاجات القائمة على (GLP-1) فوائد كبيرة في إنقاص الوزن وتحسين الصحة الأيضية، إلا أن معظمها متاح حاليا عن طريق الحقن، في حين يفضل العديد من الأشخاص تناول الأدوية عن طريق الفم؛ نظرا لما قد تمثله الحقن من عائق أمام بدء العلاج.

ووافقت إدارة الغذاء والدواء الأميركية (FDA) على دواء "فاوندايو" (أورفورغليبرون) من شركة "إيلي ليلي"، وهو محفز لمستقبلات البتيد الشبيه بالجلوكاجون1- (GLP-1)، يُؤخذ عن طريق الفم مرة واحدة يوميا، ويوفر خيارا غير حقني للتحكم في الوزن.

وتشير البيانات السريرية إلى أن الدواء يساعد على فقدان الوزن بشكل ملحوظ، ويمكن تناوله دون قيود صارمة على الطعام أو التوقيت، ما يحسن سهولة الاستخدام والالتزام بالعلاج.

ويُعد هذا الدواء من أوائل العلاجات الفموية من فئة (GLP-1) المخصصة لإنقاص الوزن. وقد أظهرت نتائج المرحلة الثالثة من التجارب السريرية لأورفورغليبرون الفموي، في مارس 2026، قدرته على خفض مستويات السكر في الدم بكفاءة لا تقل عن، بل وفي بعض الحالات تفوق، سيماغلوتيد الفموي.

كما يوفر هذا الخيار راحة أكبر، وقد يكون أسهل في التوسع والتوزيع مقارنة بالبدائل القابلة للحقن، ما يسهم في توسيع نطاق الوصول إلى العلاج، لا سيما لدى الأشخاص الذين يترددون في استخدام الحقن. ويحاكي هذا الدواء، الذي يُؤخذ مرة واحدة يوميا، هرمون (GLP-1)، الذي يساعد على تنظيم الشهية وتناول الطعام.

وتُظهر بيانات التجارب السريرية أن المشاركين الذين تناولوا "فاوندايو" حققوا فقدانا ملحوظا في الوزن مقارنة بالدواء الوهمي، ما يعزز إمكان استخدامه كخيار علاجي فعال.

وأوضح د. ريتشارد فرانك، كبير المسؤولين الطبيين في شركة "فيدا هيلث"، لموقع "ميديكال نيوز توداي"، أن الحقن عادة أكثر فعالية، لكنها تتطلب استخداما أسبوعيا، في حين تفضل شريحة من المرضى الحبوب لعدم حاجتها إلى إبر. وأضاف أن حبوب "ويجوفي" تُؤخذ صباحا على معدة فارغة مع قيود على الطعام، بينما يمكن تناول "أورفورغليبرون" في أي وقت مع الطعام أو بدونه، ما يجعله أكثر سهولة في الاستخدام، رغم كونه أقل فعالية. كما أن "فاوندايو" لا يفرض قيودا على الأكل أو الشرب، ما قد يعزز الالتزام بالعلاج لدى بعض المرضى.

وأكدت د. ديبورا هورن، مديرة مركز طب السمنة في كلية ماكغفرن الطبية بجامعة تكساس للعلوم الصحية في هيوستن، أن دواء "فاوندايو" يوفر خيارا فمويا يحقق متوسط خسارة وزن يبلغ 12.4 % عند أعلى جرعة في التجارب السريرية، ما يلبي احتياجات المرضى ويساعد في تجاوز التحديات اليومية. وأشارت إلى أن مرونة تناول حبة يوميا دون قيود على الطعام أو الماء تمنح المرضى سهولة أكبر في الالتزام بالعلاج.

البلاد | حسن فضل

2003/09/08 - وفاة البحرينية التي حقنت بجرعة زائدة من المخدر في القاهرة....

عمليات التجميل في الخارج

بين مخاطر المضاعفات وقبضة السماسرة

في العام 2010، تصدر الصحافة البحرينية خبر وفاة سيدة بحرينية تبلغ من العمر 53 عاما، بعد نقلها من القاهرة إلى البحرين في حالة حرجة، ودخولها في موت سريري، وذلك نتيجة جرعة تخدير زائدة قبل إجراء عملية تجميل في مستشفى خاص في مصر.

ليطرح هذا الحادث علامة استفهام كبيرة حول عمليات التجميل في الخارج وسلامتها. ففي حين وجد خبر الوفاة طريقه إلى الإعلام، بقيت خلف الستار عشرات القصص والحالات طي الكتمان، حيث خلفت بعض العمليات ندوبا وتشوهات أدخلت أصحابها في حالات نفسية صعبة، فيما انتهت حالات أخرى بالوفاة. "البلاد" تفتح ملف "مضاعفات عمليات التجميل في الخارج"، وتستعرض حجم الظاهرة وتداعياتها الصحية والنفسية، وترصد شهادات طبية وحالات واقعية تكشف ما يدور خلف الكواليس.

د. عبد الله فخرو

د. أحمد الحداد

د. أحمد العصفور

د. عبد الشهيد فضل

علي نوح

تجربة مع مضاعفات عملية تجميل في الخارج

رصدنا بعض الحالات المتضررة من عمليات التجميل في الخارج، لكن معظم المرضى فضلوا التحفظ عن الحديث للإعلام، ما جعل المهمة صعبة. إلى أن وافقت إحدى المريضات على المشاركة، مفضلة عدم ذكر اسمها.

أوضحت المريضة أنها سافرت إلى إيران لتحقيق حلم استعادة جسدها بعد الولادة، مستغلة انخفاض تكلفة العملية مقارنة بالبحرين، بعد أن شاهدت إعلانا على إحدى منصات إنستغرام. وأجرت ما يعرف بعمليات Mommy make-over، وهي مجموعة من الإجراءات التجميلية تشمل شد البطن، شفط الدهون، وشد أو تكبير الثدي.

سارت الأمور بشكل طبيعي في البداية، وتم شرح تفاصيل العملية والمضاعفات المحتملة، وخرجت من العملية بسلام دون مشكلات تذكر. إلا أنه بعد يوم من عودتها إلى البحرين، بدأت تعاني من ارتفاع في درجة الحرارة وقشعريرة، وعند فحص الجرح اكتشف وجود التهاب.

توجهت إلى مجمع السلمانية الطبي، حيث تم تعقيم الجرح، ثم راجعت في اليوم التالي طبيب جراحة تجميل، الذي قرر ضرورة دخول المستشفى لتلقي الرعاية المناسبة. بالفعل، مكثت المريضة في المستشفى 25 يوما لتلقي العلاج وتنظيف الجرح، دون أن تواجه صعوبة في الحصول على الرعاية الطبية اللازمة.

ورغم انتهاء قصتها، تبقى هناك العديد من القصص الأخرى التي لم تنته بعد، لتكشف فصولا جديدة من معاناة المرضى مع المضاعفات بعد عمليات التجميل في الخارج.

السياحة التجميلية

السياحة التجميلية هي عبارة عن مصطلح جديد لم يمض عليه أكثر من خمس سنوات. تعد السياحة التجميلية ظاهرة عالمية مزدهرة، تشير إلى سفر المرضى إلى الخارج لإجراء عمليات تجميلية، في تحركات متبادلة مدفوعة بالرغبة الشديدة في مواكبة معايير الجمال المعاصرة المتأثرة بشخصيات وسائل التواصل الاجتماعي. وتشير تقديرات الجمعية البريطانية لجراحي التجميل إلى أن نحو 15 مليون مواطن أميركي يتلقون العلاج في الخارج سنويا، بينما يسافر أكثر من 60 ألف مريض من المملكة المتحدة لأغراض السياحة العلاجية.

تتيح هذه الوجهات خيارات عديدة في سوق السياحة التجميلية، من خلال باقات تشمل إجراءات بأسعار معقولة وإقامة فاخرة، ما يوفر تجربة سياحية ممتدة. وترتبط سياحة جراحة التجميل بارتفاع معدلات المضاعفات نتيجة لمحدودية الاستشارات قبل الجراحة، والتساهل في اختيار المرضى، وعدم كفاية الرعاية بعد الجراحة، وحواجز اللغة.

دراسة بحرينية ترصد مضاعفات التجميل في الخارج

ظل هذا العالم مخفيا، وتوارت الحالات عن الإعلام، رغم أن بعض قصصها تروى في الخفاء، لكنها تبقى حكايات غير موثقة، إلى أن آثر طبيب بحريني كشف اللثام عنها من خلال دراسة محلية فريدة. إنه استشاري جراحة التجميل والترميم د. عبدالله فخرو.

ففي بداية عمله جراح تجميل وترميم بمستشفى الملك حمد، كان الطبيب المناوب الذي يتم الاتصال به باستمرار لعلاج مرضى يعانون من مضاعفات عمليات التجميل في الخارج، مثل التهابات الجروح أو الحمى.

وخلال الأشهر الأولى، لاحظ زيادة في عدد الحالات، مع تكرار مراجعة المرضى بسبب هذه المضاعفات، حيث كانوا يحملون بكتيريا غير شائعة، وكان ذلك يحدث بشكل أسبوعي، إذ تصل حالة واحدة على الأقل، وبعضها يستدعي إدخال المرضى إلى العناية المركزة، ما يترتب عليه أعباء إضافية على المستشفى.

ومن هنا برز تساؤل: كم حالة تصل شهريا نتيجة مضاعفات عمليات التجميل في الخارج؟ ومن هذا التساؤل انطلقت فكرة إجراء دراسة استقصائية.

واستندت الدراسة إلى تحليل استرجاعي لبيانات المرضى الذين راجعوا مستشفى الملك حمد الجامعي بين العامين 2018 و2023، وشملت 30 مريضا تعرضوا لمضاعفات بعد إجراء عمليات تجميل في الخارج، ما يمنح نتائجها طابعا علميا موثقا، ويعكس حضورا ملحوظا لهذه الحالات خلال الفترة المدروسة.

وبعد تحليل التكاليف ومراجعة السجلات الطبية، هدفت الدراسة إلى تقييم الأنماط الحالية للمضاعفات المرتبطة بسياحة جراحات التجميل، وحجم العبء المالي الناتج عنها على النظام الصحي في البحرين.

التقينا د. فخرو للحديث عن الدراسة ونتائجها، فأوضح أن ارتفاع أسعار عمليات التجميل محليا يدفع العديد من البحرينيين إلى إجراء هذه العمليات في الدول المجاورة، حيث تتيح هذه الوجهات باقات بأسعار معقولة وإقامة فاخرة، ما يوفر تجربة سياحية ممتدة وبعيدة عن مجتمع البحرين، بحيث تبقى هويتهم مخفية.

وأضاف أن أكثر العمليات شيوعا التي رآها هي تجميل البطن، بما في ذلك شد البطن وشفط الدهون، تليها عمليات تكبير وتصغير الثدي، وهو ما يتوافق مع نتائج الدراسة التي أظهرت أن مضاعفات شد البطن كانت الأكثر شيوعا.

وأوضح أن بعض المضاعفات قد تكون غير متوقعة، مثل عمليات شد الجفون، وشد الزنود، وشد الوجه أو الفخذين، حيث عادة لا تكون نسبة الالتهابات صفرا، لكنه لاحظ أن الالتهابات ظهرت بنسبة أعلى من المتوقع، ما قد يعزى إلى مشكلات تتعلق بنظافة المستشفيات.

وأشار إلى أن الحالات التي راقبها في سنة واحدة تجاوزت ثلاثين مريضا؛ منهم 16 مريضا أجروا عملية واحدة، و14 أجروا أكثر من عملية، وهو ما تؤكده نتائج الدراسة التي أظهرت أن نحو نصف المرضى خضعوا لعمليات عدة في جلسة واحدة، الأمر الذي يزيد من احتمال حدوث المضاعفات.

وأضاف أن إيران برزت كأكثر الوجهات ارتيادا، تلتها مصر وتركيا من حيث الانتشار، وأن التهابات مواقع الجراحة كانت أكثر المضاعفات شيوعا، إلى جانب أعراض مثل الحمى والإفرازات والألم، وقد استدعت بعض الحالات تدخلات متقدمة، شملت الدخول إلى العناية المركزة أو العلاج بالأكسجين عالي الضغط، ما يعكس خطورة هذه المضاعفات.

وذكر أن أي مضاعفات تظهر خلال أقل من 30 يوما من العملية تعد مضاعفات رسمية للعملية، وغالبا ما يكون الالتهاب هو الأكثر ظهورا.

ولفت فخرو إلى أنه في السنة التي كتب فيها البحث، كانت هناك حالة وفاة واحدة، لمريضة أجريت لها عمليات تجميل عدة في مصر (ثلاث أو أربع عمليات في الوقت نفسه)، حيث دخلت المستشفى من الطوارئ وهي تعاني من ارتفاع في درجة الحرارة، وتم إدخالها إلى الإنعاش، وتوفيت بعد حدوث تجلط في الرئة.

وأشار أيضا إلى أن تكلفة علاج مثل هذه الحالات تتراوح بين 400 دينار و40 ألف دينار بحريني، فيما قدرت الدراسة متوسط تكلفة الحالة الواحدة بنحو 2200 دينار بحريني، بإجمالي تكلفة بلغت نحو 65,970 دينارا، ما يعكس عبئا ماليا ملحوظا على النظام الصحي، ويظهر أن انخفاض تكلفة العمليات في الخارج قد يقابله ارتفاع في كلفة المضاعفات لاحقا.

حالة إلى ثلاث حالات شهريا

وبما أن مجمع السلمانية الطبي هو المستشفى الرئيس والأكبر في البحرين، كان من الضروري أن تكون وجهتنا التالية في التحقيق، خصوصا أن دراسة د. عبدالله فخرو تقتصر على مستشفى الملك حمد.

التقينا استشاري جراحة التجميل والترميم في مجمع السلمانية الطبي د. أحمد الحداد، الذي كشف عن أن بعض المرضى القادمين من الخارج خضعوا لعمليات طويلة تصل إلى 15 ساعة، مع الحاجة لنقل دم بكميات كبيرة، إضافة إلى حالات بجروح مفتوحة أو دخول العناية المركزة لأشهر. ورغم إمكان إنقاذهم من الخطر، تبقى أحيانا آثار دائمة مثل الندوب أو التشوهات التي قد لا تعالج بالكامل.

وقال الحداد: "هناك الآن، وأنا أتحدث معك، حالة منومة في المستشفى، ويمكنني القول إنه شهريا توجد حالة أو حالتان أو ثلاث حالات يتم تنويمها بسبب مضاعفات عمليات التجميل في الخارج، وهذا العدد يقتصر فقط على الحالات التي تستدعي الدخول والتنويم".

وأشار إلى وجود حالات تعالج في الطوارئ أو العيادات دون تنويم، ما يجعل العدد الإجمالي أكبر بكثير. أما حالات الوفاة، فغالبا لا تصل إلى المستشفى، إذ قد يتوفى المريض قبل تلقي الرعاية، خصوصا في حال المضاعفات الشديدة مثل الجلطات.

ولفت إلى أن بعض الحالات قد تؤدي إلى وفاة مباشرة، أو تستدعي دخول العناية المركزة والبقاء في المستشفى لمدة شهر أو أكثر. ولا يقتصر الضرر على المضاعفات الطبية، بل يمتد إلى تشوهات والتهابات قد تشمل مناطق واسعة من الجسم، ما يؤثر على الصحة العامة والمظهر، وقد يترك آثارا نفسية واضحة تصل في بعض الحالات إلى اكتئاب مزمن.

وأكد الحداد ضرورة معرفة المريض بمكان إجراء العملية وضمان متابعة دقيقة بعد العودة؛ لأن غياب المتابعة يزيد من المشكلات. كما حذر من اختيار جهات غير متخصصة أو أطباء محدودي الخبرة، خصوصا لمن لديهم عوامل خطر مثل التدخين أو الوزن الزائد أو أمراض مزمنة. ورغم رفض بعض الأطباء في البحرين إجراء هذه العمليات، يتجه بعض المرضى للخارج، حيث قد تكون المعايير أقل جودة، ما يزيد احتمالية المضاعفات.

وقال: "تصلني حالات كثيرة بشكل مستمر؛ فقد راجعني مريض ثلاث مرات، ونصحته بعدم إجراء العملية وضرورة خفض وزنه، لكنه أجرى العملية لاحقا، وانتهى به الأمر منوما في المستشفى بسبب المضاعفات".

وأضاف أن التثقف قبل أي عملية أمر ضروري، ويجب الاطلاع على تفاصيلها والالتزام برأي الطبيب، خصوصا إذا أوصى بعدم إجرائها لأسباب صحية. وأكد تجنب السفر للخارج قدر الإمكان، وإن لزم الأمر يجب اختيار طبيب مؤهل ومعروف مكان عمله، ويفضل أن يكون الخيار داخل البحرين؛ لضمان سرعة الوصول والمتابعة.

وأشار إلى أن المضاعفات في العمليات التجميلية قد تحدث، لكنها ليست دائما نتيجة خطأ طبي، بل قد تعود لسوء اختيار المريض. فبعض المرضى ترتفع لديهم مخاطر

د. عبد الله فخرو: تكلفة علاج مضاعفات عمليات التجميل تتراوح بين 400 و40 ألف دينار بحريني

د. أحمد الحداد: مضاعفات التجميل قد تعود لسوء اختيار المريض لا لخطأ طبي

د. عبد الشهيد فضل: معظم المضاعفات القادمة من الخارج ترتبط بسوء استغلال المرضى وتأثير السماسرة عليهم

المضاعفات بسبب أمراض مزمنة، أو سكري غير منتظم، أو التدخين، أو زيادة الوزن، لذلك يرفض الطبيب الملتزم إجراء العملية لهم. لكن في بعض الجهات، خصوصا ذات الطابع التجاري، قد تجرى العمليات دون مراعاة هذه العوامل، ما يزيد احتمال حدوث مضاعفات، خصوصا في عمليات الشد والشفط.

وأكد أن الأثر النفسي للمضاعفات قد يكون بالغا، إذ يتحول الشخص من شخص طبيعي إلى شخص يعاني من تشوه في البطن أو الصدر، أو تضرر الحلمات، إضافة إلى وجود جروح مفتوحة تستدعي مراجعة المستشفى بشكل يومي. وهذا الوضع ينعكس على حياته الشخصية وعلاقاته، كما يترتب عليه لاحقا تحمل تكاليف إضافية لإجراء عمليات تصحيحية، التي قد تكون في بعض الأحيان أعلى تكلفة من العملية الأصلية، وليس كل الأطباء يقبلون إجراء هذه العمليات التصحيحية.

السياحة التجميلية في قبضة السماسرة: مخاطر ومضاعفات المرضى

لرصد القضية من زوايا عدة، التقينا استشاري جراحة التجميل والحروق د. عبد الشهيد فضل، الذي أكد أن المضاعفات قد تحدث بشكل عام مع أي طبيب، حتى عند الالتزام الكامل بالإجراءات والمعايير الطبية، وتكون حينها ضمن النطاق المقبول عالميا.

وأوضح أن معظم المضاعفات القادمة من الخارج ترتبط بسوء استغلال المرضى، أو إجراء العمليات لدى أطباء غير متخصصين أو غير مدربين، أو استخدام مواد غير مرخصة، إضافة إلى ضعف التعقيم والنظافة والإهمال.

وأشار إلى أن هذه المضاعفات تتراوح بين التهابات بكتيرية بسيطة وأخرى متقدمة مصحوبة بخراج وفتح في الجروح، نتيجة استخدام تقنيات غير حديثة أو عدم دراية الجراح بهذا النوع من العمليات، وقد تصل إلى موت جزء من الجلد أو حدوث جلطات في الحالات الأكثر خطورة.

وقال: "إن معظم عمليات التجميل متوفرة في البحرين، ويجريها أطباء بحرينيون ذوو خبرة عالية، وقد تلقى معظمهم تدريبه في أوروبا أو الولايات المتحدة الأميركية، مع وجود بعض التقنيات غير المتاحة حاليا، لكنها ستتوفر قريبا".

وأشار إلى أن السفر للعلاج يظل خيارا شخصيا، وغالبا ما يكون بسبب عدم توفر بعض التقنيات أو ارتفاع التكلفة، موضحا أن السعر هو الدافع الأبرز، رغم أن البحرين تعد من أقل دول الخليج تكلفة في عمليات التجميل مقارنة بغيرها.

ولفت إلى بروز عوامل جديدة تدفع المرضى للعلاج في الخارج، أبرزها تأثير المدونين ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتم الترويج لأطباء ومراكز بمعلومات قد تكون غير دقيقة أو مبالغ فيها، ما يصعب على المريض التمييز.

كما أشار إلى استخدام صور مضللة لنتائج العمليات (قبل وبعد)، تعرض وكأنها لنفس الحالة، ما يدفع بعض المرضى إلى الانبهار بها والتوجه لتلك الجهات.

وأضاف أن بعض المرضى يتأثرون بالسماسرة الذين يوجهونهم إلى مراكز محددة مقابل عمولات، ما يؤدي إلى الترويج لجهات بناء على مصالح مادية لا على الكفاءة الطبية، وهو ما يشكل خطورة.

ولفت إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على وسائل التواصل الاجتماعي، بل تمتد إلى وسطاء يقابلون المرضى في المطارات أو يروجون لمراكز طبية عبر سائقي الأجرة والمطاعم وحتى في الشوارع، ما يزيد من احتمالية توجيه المرضى بشكل عشوائي.

وأشار إلى وجود مكاتب داخل البحرين ترتب العلاج في الخارج بشكل منظم، إلا أن بعضها قد يوجه المرضى إلى جهات محددة بناء على اتفاقات مالية، مؤكدا أن دور هذه المكاتب يجب أن يقتصر على توجيه الحالات التي لا يتوافر علاجها محليا، وبالتعامل مع مراكز وأطباء معروفين وذوي سمعة جيدة.

وأوضح أن الترويج المضلل قد يدفع المرضى إلى مراكز ضعيفة أو أطباء محدودي الخبرة، مؤكدا أن التوجه إلى أطباء معروفين في دول مثل إيران ومصر يرفع التكلفة، وغالبا لا يكون الفارق كبيرا مقارنة بالبحرين.

وأشار إلى أن تقديرات المرضى للتكلفة تكون غير دقيقة، إذ يكتفون بمقارنة سعر العملية فقط، متجاهلين المصاريف الأخرى مثل تذاكر السفر، والإقامة، والتنقلات، والتي تعد جزءا من التكلفة الإجمالية.

كما أشار إلى أن إجراء العملية في الخارج قد يرفع تكلفة المتابعة بشكل كبير في حال حدوث مضاعفات بعد العودة، مقارنة بإجرائها داخل البحرين، في حين يتيح العلاج محليا سرعة الوصول إلى الطبيب وسهولة المتابعة، وهو ما يحمل قيمة طبية ومادية ومعنوية لا ينتبه لها كثيرون.

ولفت إلى أن من أسوأ الحالات التي عاينها كانت لثلاث مريضات أجرين عمليات لدى الطبيب نفسه في مستشفى واحد خارج البلاد؛ حيث توفيت إحداهن بعد يوم من العملية، فيما عادت أخرى مصابة بجلطة في الرئة والأرجل، إضافة إلى التهابات وجروح مفتوحة، واستدعى علاجها أكثر من شهر و15 يوما.

أما الحالة الثالثة، فكانت أقل حدة، واقتصرت على التهابات وفتح في الجرح، وتبين أنها أجريت لدى الطبيب نفسه وفي المستشفى ذاته، حيث دخلت غرفة العمليات في الساعة الثانية والنصف فجرا، ما يعكس ضغط العمل ويزيد احتمال المضاعفات.

كما اشتكت المريضات من ضعف نظافة المستشفى، وغياب المتابعة بعد العملية، وقلة اهتمام الطاقم التمريضي، مشيرا إلى أن التوجه لمثل هذه المراكز يكون غالبا بسبب انخفاض التكلفة، لكنه يأتي على حساب الجودة ويزيد من المخاطر.

يجب التأكد من ترخيص المكان والطبيب وخبرته

كشف استشاري جراحة التجميل والترميم د. أحمد العصفور، عن أن العديد من الحالات التي عاينها مرتبطة بمضاعفات عمليات التجميل في الخارج، وكانت هذه المضاعفات خطيرة، من بينها جلطات الرئة؛ حيث جاءت مريضة غير قادرة على التنفس، ليتبين أنها تعاني من جلطة كبيرة بعد عملية شد.

وذكر حالة أخرى لمريض دخل العناية المركزة لفترة طويلة دون أن يعلم سبب دخوله، وكان وضعه غير مستقر. ومن المشكلات الأخرى أنهم يستقبلون مرضى يعانون من انخفاض شديد في الدم (أقل من ستة) دون إعطائهم دما.

وأضاف أن بعض المرضى يجرى لهم تدخل جراحي، وفي الليلة نفسها يتم إخراجهم إلى الفندق. وهناك حالات، للأسف، تمت معاينتها وكانت تعاني من تدهور سريع نتيجة ما يعرف بالإنتان، أو الالتهابات المنتشرة في جميع أنحاء الجسم.

وأشار إلى حالة مريضة بعد فقدان وزنها، أجرت عمليات شد متعددة في الخارج دفعة واحدة، شملت اليدين، الصدر، البطن، شفط الدهون والفخذين، ما أدى إلى مضاعفات كبيرة وجروح مفتوحة استدعت دخول العناية المركزة وإجراء عدة عمليات تنظيف، لكنها تعافت لاحقا. وأكد أن مثل هذه العمليات يجب أن تجرى بحذر ووفق احتياطات صارمة لضمان سلامة المريض.

وقال: "نرى هذه الحالات من وقت لآخر وليست نادرة، لذا يجب اختيار مكان إجراء العملية بعناية، سواء داخل البحرين أو خارجها، وتجنب الأماكن غير الموثوقة أو غير المضمونة".

وأوضح أنه عند التفكير في إجراء عملية تجميلية في الخارج، يجب التأكد من ترخيص المكان والطبيب وخبرته، وملاحظة مستوى الراحة، والتأكد مما إذا كانت العملية ستجرى في مستشفى أم عيادة، وضمان سلامة وترخيص الأجهزة المستخدمة.

وأشار إلى ضرورة البقاء بالقرب من مكان إجراء العملية لمدة لا تقل عن أسبوعين لضمان التواصل مع الطبيب عند الحاجة، وحذر من العودة المباشرة إلى البحرين لتجنب مضاعفات مثل الالتهابات، مشكلات الجروح، الجلطات، وصعوبات التنفس.

وأكد ضرورة متابعة المريض بعد العملية لمدة 6 - 12 شهرا، ويفضل أن تكون لدى المريض جهة موثوقة داخل البحرين لمتابعته. وأوضح أن العملية رحلة متكاملة تبدأ قبلها، وتستمر خلالها، وتتطلب متابعة طويلة بعد انتهائها. وإذا لم يكن المريض مرتاحا للطبيب أو غير متأكد منه، فمن الأفضل عدم الإقدام على العملية.

الهدف الأساسي من التجميل هو تحسين المظهر وتعزيز الثقة بالنفس بأقل مضاعفات ممكنة، وإذا لم تتحقق هذه المعادلة، فلا ينبغي إجراء أي تدخل.

بعض عمليات التجميل في الخارج تحولت إلى تجارة

وأكد علي نوح، صاحب مكتب المستقبل للعناية بالمرضى، والحاصل على ماجستير في جودة الخدمات الصحية، أن بعض عمليات التجميل في الخارج تحولت إلى "تجارة" على حساب سلامة المرضى، وأن الترويج في وسائل التواصل الاجتماعي من قبل غير المختصين وغير الموثوقين بالأمانة العلمية هو في غير محله. وبين أن الأفضل البحث عن منسق ذي خبرة طبية ومعروف بالأمانة العلمية.

وأشار إلى أنه في حال حدوث مضاعفات، غالبا ما يتحمل المسؤولية المركز أو المستشفى، إذا كانت المضاعفات نتيجة خطأ طبي، وذلك يعتمد على نوعية المكتب والاتفاق بينه وبين المريض. وقال: "إن حدوث بعض المضاعفات وارد في الكثير من العمليات، وليس فقط في عمليات التجميل، لذلك نؤكد وننصح دائما باختيار الطبيب صاحب الخبرة في مثل هذه الحالات. عمليات التجميل غالبا لا نركز عليها، ولدينا نسبة أقل من 1 % من عدد المرضى".

ولفت إلى أن كل مريض له الحق في الاطلاع على خبرات الطبيب، مع إمكان ترتيب استشارة عبر الإنترنت للمريض مع الطبيب المختص.

وأوضح أنهم بصفتهم مكتب تنسيق علاج في الخارج، يتمثل عملهم في البحث عن العلاج في المراكز والمستشفيات المعتمدة دوليا للعديد من المرضى الذين يبحثون عن علاج لحالاتهم المرضية، حيث يقومون بتقديم استشارة مجانية لمعرفة مدى توافر العلاج.

وتقتصر حدود مسؤولياتهم على تعريف المريض بمجموعة من الأطباء المختصين في الحالة المرضية التي يعاني منها، مع القيام بالترتيبات اللازمة في حال موافقة المريض على الذهاب لطبيب معين، كما يضمنون متابعة المريض بعد خروجه من المستشفى ورجوعه، ومتابعة المستشفى عن طريق إرسال التقارير والأشعة في حال حاجة الطبيب المختص للمتابعة.

كلمة ختامية

تظل عمليات التجميل في الخارج خيارا متاحا للجميع، ولا يمكن منعها، لكن يقع على عاتقنا توعية الجميع بأهمية اختيار الطبيب والمركز المناسبين، واتباع الإجراءات الطبية السليمة للحد من المضاعفات. كما يمكن تعزيز الرقابة على مكاتب تنسيق العلاج في الخارج، لحماية المرضى من السماسرة، ومن أن يتحول المريض إلى مجرد سلعة تخضع لقوانين العرض والطلب دون أي اهتمام بصحته وسلامته.

علي نوح: بعض عمليات التجميل في الخارج تحولت إلى "تجارة" على حساب سلامة المرضى

د. أحمد العصفور: هدف التجميل تحسين المظهر والثقة بأقل مضاعفات ولا مبرر إذا لم تتحقق هذه المعادلة